



تأثير الشاب المؤمن في التكامل السياسي للمجتمع الإسلامي من منظور القرآن الكريم ونهج البلاغة

ورود الطرفي^١

الملخص

يُعد الشاب المؤمن ركيزة أساسية في بناء المجتمع الإسلامي المتكامل سياسياً، حيث يجسد الوعي الإيماني الذي يحوّل الطاقة الشبابية إلى قوة بناءة للعدل والرحمة والقوة. يستند هذا البحث إلى النصوص القرآني والحكم المنبثقة من نهج البلاغة لأستكشاف هذا التأثير، مع التركيز على كيفية تحول الشاب من فئة عمرية إلى فاعل سياسي رسالي. يبدأ البحث بتحليل آية (٥٤) الروم، كدليل على قوة الشاب كمرحلة حيوية بين الضعفين، ثم ينتقل إلى قصص الأنبياء مثل إبراهيم (ع) الذي استخدم السياسة الحكيمة في مواجهة الوثنية من خلال دعواته السبعة التي تجمع بين الأمن والرزق والتوحيد، ويوسف (ع) الذي جسد السياسة الشخصية في مقاومة الفتن بتفضيل السجن على المعصية، وأصحاب الكهف كمثال للسياسة الجماعية في الثبات على التوحيد أمام الطاغوت. أما في نهج البلاغة، فيبرز دور الإمام علي (ع) كشاب في المعارك، وصيته للحسن (ع) في تهذيب النفس عبر الانسجام بين العقل والقلب، وشباب كربلاء كتجسيد للتكامل السياسي العملي من خلال علي الأكبر و عبدالله بن مسلم و العباس عليهم السلام، الذين قدموا أنفسهم للدفاع عن الحق. يخلص البحث إلى أن الاستثمار في تربية الشباب يعزز التكامل السياسي، مما يجعلهم حراساً للعقيدة وصناعاً للتغيير في عصر الفتن، مع اقتراحات عملية لتطبيق هذه الرؤى في المجتمعات المعاصرة.

الكلمات الرئيسية: الإنسان، السياسة، القرآن، نهج البلاغة، الشباب، الإسلام

^١ طالبة ماجستير لفرع تفسير علوم قرآن حديث لجامعة المصطفى المفتوحة.

المقدمة

في عصرنا الحالي، حيث تسارع التحديات السياسية والاجتماعية، تبرز السياسة كعنصر حيوي في حياة المجتمعات، ليس كما يُفهمها البعض بأنها مقتصرة على ساحات الحرب أو المعاملات الدولية فحسب، بل كفن التعامل الحكيم مع الذات والآخرين في كل ميادين الحياة اليومية. إن السياسة، وفق الرؤية الإسلامية، هي القدرة على ترتيب الأمور بما يحقق العدل والمصلحة العامة والخاصة، وتشمل تعامل الأفراد مع بعضهم، وتعامل الشاب مع عائلته وأصدقائه ومجتمعه، بل تدخل حتى في العلاقة الزوجية بين الزوجين الشابين. فهي نوع من التعامل والأخلاق والأفعال التي يلجأ إليها الفرد لتحسين علاقاته مع الآخرين، وسد احتياجاته المادية والإنسانية والمعنوية، وصيانة كرامته وكرامة الآخرين (الطباطبائي، ١٤٠١ هـ ج ١٦، ص ٢٠٤).

يأتي الشاب المؤمن في هذا السياق كقوة دافعة للتكامل السياسي، إذ يمتلك وعياً إسلامياً يجعله قادراً على مواجهة التحديات اليومية بتوازن وإحسان، ويساهم في بناء مجتمع متكامل يقوم على العدل والرحمة والقوة. إن الحديث عن الشاب المؤمن ليس مجرد حديث عن فئة عمرية، بل هو حديث عن وعي وإرادة واستعداد للمشاركة في صنع القرار وترسيخ المبادئ الإلهية. ومن هنا جاءت أهمية دراسة هذا الموضوع، مستندين إلى الآيات القرآنية الكريمة، وروايات أهل البيت عليهم السلام، وحكم نهج البلاغة التي تجعل السياسة أداة للارتقاء الروحي والاجتماعي.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تأثير الشاب المؤمن في التكامل السياسي للمجتمع الإسلامي، من خلال تحليل منظورين أساسيين: القرآن الكريم ونهج البلاغة. سيتناول القسم الأول الدور القرآني من خلال قصص الأنبياء كإبراهيم ويوسف وأصحاب الكهف، بينما يركز القسم الثاني على سيرة الإمام علي عليه السلام وشباب كربلاء. يعتمد البحث على منهج تحليلي تفسيري، مع الاستناد إلى مصادر موثوقة مثل «الميزان في تفسير القرآن» (العلامة الطباطبائي، ١٤٠١ هـ ج ١٦، ص ٢٠٤)، و«تفسير الأمثل» (مكارم الشيرازي، د.ت، ج ١، ص ٣٨٠)، و«من وحي القرآن» (السيد محمد حسين فضل الله، ١٤١٩ هـ ج ١٨، ص ١٦١)، بالإضافة إلى نهج البلاغة (رسالة ٣١، ص ٣٩٣) و«بحار الأنوار» المجلسي، ٥١٤٠٣ هـ ج ٩٨، ص ٢٧١).

و أما أهمية الموضوع في أن الشباب يمثلون الطاقة الحيوية للأمة، وفي زمن الفتن والاستكبار العالمي، يحتاج المجتمع الإسلامي إلى شباب يحملون هم الرسالة، قادرين على بناء مجتمع متكامل سياسياً. كما أن الدراسة تساهم في تعزيز الوعي السياسي الإسلامي لدى الشباب، مما يعزز من قدرتهم على مواجهة التحديات المعاصرة مثل الإعلام المضلل والفساد الاجتماعي والتطبيع مع الباطل.

في هذا السياق، يُبرز القرآن الكريم الشباب كمرحلة قوة بين ضعفين، كما في قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً» (الروم، ٥٤). يفسر العلامة الطباطبائي هذه الآية بأنها تشير إلى مراحل النمو: ضعف الطفولة، قوة الشباب (بلوغ الأشد) و ضعف الشيخوخة، حيث تكون القوة في الشباب إرادة و عقلاً و روحاً، تجعل الشاب قابلاً لتحمل المسؤولية (الطباطبائي، ١٤٠١ هـ ج ١٦، ص ٢٠٤). و يضيف السيد فضل الله أن هذه القوة تدعو إلى التوكل و الطاعة، مما يفتح أبواب الإيمان (فضل الله، ١٤١٩ هـ ج ١٨، ص ١٦١).

هكذا، يصبح الشاب المؤمن نموذجاً للسياسة الإسلامية الحقة، التي ليست مجرد حكم أوقتال، بل تدير يومي للأمر يحقق التكامل. و فيما يلي تفصيل هذا التأثير من منظوري القرآن و نهج البلاغة، مع الاستناد إلى النصوص الأصلية و التفسير المعتمدة لضمان الدقة العلمية.

تأثير الشاب المؤمن في التكامل السياسي من منظور القرآن الكريم

يُعد الشاب ركيزة أساسية في بناء المجتمعات و توجيه مساراتها نحو النهوض و التكامل، و لا سيّما في المجتمعات الإسلامية التي تتطلب طاقات فاعلة تحمل همّ الرسالة و القيم الإلهية في مواجهة التحديات السياسية و الاجتماعية. و يحتل الشاب المؤمن مكانة مميزة في هذا الإطار، نظراً لما يتمتع به من توازن بين الإيمان العميق و الطاقة الحيوية القادرة على التغيير و البناء.

إن الحديث عن الشاب المؤمن ليس مجرد حديث عن فئة عمرية، بل هو حديث عن وعي و إرادة و استعداد للمشاركة في صنع القرار، و ترسيخ مبادئ الإسلام في كل جوانب الحياة. يبين لنا العلامة الطباطبائي في تفسير القرآن الكريم حول سياسة الشاب المؤمن و تأثيره في المجتمع، و عبّر عن مرحلة الشباب بمرحلة القوة بين ضعفين، ضعف الطفولة و ضعف الشيخوخة، في قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ» (الروم، ٥٤).

يشرح الطباطبائي أن الضعف و القوة متقابلان، و «مِنْ» في قوله «مِنْ ضَعْفٍ» للابتداء أي ابتداء خلقكم من ضعف، و مصداقه على ما تفيد المقابلة أول الطفولية، و إن أمكن صدقه على النطفة. و المراد بالقوة بعد الضعف بلوغ الأشد، و بالضعف بعد القوة الشيخوخة، و لذا عطف عليه «شَيْبَةً» عطف تفسير. و تكبير «ضَعْفٍ» و «قُوَّةً» للدلالة على الإبهام و عدم تعيين المقدار لاختلاف الأفراد في ذلك. و قوله: «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» أي كما شاء الضعف فخلقه ثم القوة بعده فخلقها ثم الضعف بعدها فخلقه، و في ذلك أتم الإشارة إلى أن تتالي هذه الأحوال من الخلق، و إذ كان هذا النقل من حال إلى حال في عين أنه تدير خلقاً فهو لله الخالق للأشياء، فليس لقائل منهم أن يقول: إن ذلك من التدبير الراجع إلى إله الإنسان، مثلاً

كما يقوله الوثنية. ثم تمم الكلام بالعلم والقدرة فقال: «وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ» (الطباطبائي، ١٤٠١ هـ ج ١٦، ص ٢٠٤).

يطرح الطباطبائي سؤالاً جوهرياً: هل يملك الإنسان نفسه، وما هو موقع إرادته في مسألة التحول البدني في مراحل النمو، وفي حركة القوة، أم أن الله يملك ذلك كله من دون أن تكون للإنسان أية إرادة في ذلك؟ هذا السؤال تجيب عنه الآية لتوجه الإنسان إلى التفكير الجاد في حركة النمو داخل جسده، ليعرف مواقع تدبير الله له، وخضوع حياته كلها إليه، لينفتح عليه من موقع الإيمان والطاعة، ويسلم أمره له في كل شيء.

«اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ» يتمثل في مرحلة الطفولة، لأن الإنسان لا يملك فيها عناصر القوة التي يملك معها الاستقلال في حياته، وربما فسرها البعض بالنطفة التي تمثل الضعف كله في طبيعتها. «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً» تتمثل في مرحلة الشباب التي هي قمة الحيوية في مراحل النمو الجسدي للإنسان. «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً» وهي مرحلة الشيخوخة التي يدب فيها الوهن إلى كل مفاصل الإنسان الجسدية فتضعف حركته، وربما يضعف عقله بسبب ذلك. «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» في ألوان الخلق وأشكاله وأوضاعه. «وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ» لما يمثله العلم من مواقع الحكمة في خلقه، وفي ما توحى به القدرة من مواقع القوة في الإيجاد من خلال مشيئته في إدارة الكون كله (فضل الله، ١٤١٩ هـ ج ١٨، ص ١٦١).

فمعرفة قيمة القوة البشرية في سن الشباب هي التي تصنع من الإنسان إنساناً واعياً متفهماً متوازناً في الأفكار، صاحب سيادة وقوة وسياسة ومواجهة ضد الظلم. ويؤكد الطباطبائي في «الميزان» أن هذه الآية تشير إلى مراحل النمو البشري: ضعف الطفولة، ثم قوة الشباب (بلوغ الأشد)، ثم ضعف الشيخوخة. وهذه القوة في الشباب ليست جسدية فقط، بل هي قوة إرادة وعقل وروح، تجعل الشاب قابلاً لتحمل المسؤولية وصنع التغيير. فالإنسان في هذه المرحلة يملك القدرة على الاختيار والإرادة، لكنه يظل خاضعاً لتدبير الله، مما يدعوه إلى التوكل والطاعة (الطباطبائي، ١٤٠١ هـ ج ١٦، ص ٢٠٤).

قصة النبي إبراهيم عليه السلام: نموذج السياسة الحكيمة في الشباب

و نعتبر من قصة نبي الله إسماعيل عليه السلام واستعداده للتضحية في سبيل الله. وقصة نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما كان شاباً يافعاً في مواجهة الظلم والدعوة إلى التوحيد بالله. في شبابه، واجه إبراهيم الظلم والوثنية بسياسة حكيمة تجمع بين المنطق والشجاعة. فقد حطم الأصنام بطريقة ذكية، قائلاً: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ» (الأنبياء، ٦٣)، مما أيقظ عقول قومه وكشف

بطلان عبادة الأصنام. ونبين سياسته مع أفراد مجتمعه وقوة إيمانه في دعواته السبعة، والتي تجمع بين الأمن والرزق والتوحيد والصلاة والمغفرة، مما يعكس سياسة شاملة لبناء مجتمع مؤمن.

دعا إبراهيم عليه السلام في هذه الآيات سبع دعوات في مجال التوحيد والمناجاة ومحاربة الأصنام وعبادتها ومحاربة الظالمين: أول: هذه الدعوات هو أمان مكة القاعدة العظيمة لمجتمع التوحيد (و ما أعمق مغزى هذا الطلب). إبراهيم يدعو ربه في هذه الآية بطلين هامين لسكنة هذه الأرض المقدسة، أشرنا إلى أحدهما في الآية السابقة. القرآن يذكر بما قاله إبراهيم: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا». وكما ذكرنا في الآية السابقة، استجاب الله لدعاء إبراهيم، وجعل هذه الأرض المقدسة مركزاً آمناً بالمعنى الواسع لكلمة الأمن. والطلب الآخر هو: «وَازْرُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» (البقرة، ١٢٦). وهكذا يطلب إبراهيم «الأمن» أولاً، ثم «المواهب الاقتصادية»، إشارة إلى أن الاقتصاد السالم لا يتحقق إلا بعد الأمن الكامل (مكارم الشيرازي، د.ت، ج ١، ص ٣٨٠).

الثاني: دعاؤه في الاجتناب عن عبادة الأصنام التي هي الأساس والقاعدة لجميع العقائد والبرامج الدينية. قوله تعالى: «وَاجْتَنِبْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ تُعْبَدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ» (إبراهيم، ٣٥).

الثالث: دعاؤه في تمايل قلوب المؤمنين وارتباطهم العاطفي بالنسبة لأبنائه والتابعين لدينه.

الدعاء الرابع: أن يرزقهم الله من أنواع الثمرات، لتكون عنواناً للشكر والالتفات بشكل أعمق لخالق النعم: «وَازْرُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» (إبراهيم، ٤٠).

الدعاء الخامس: التوفيق لإقامة الصلاة التي هي أقوى صلة بين الإنسان وربه، ودعاؤه عليه السلام ليس له فقط، بل حتى لأبنائه. قوله تعالى: «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَ تَقَبَّلْ دُعَاءَ» (إبراهيم، ٤٠).

الدعاء السادس: قبول دعائه، ونحن نعلم أن الله يقبل الدعاء من مواقع الإخلاص والقلوب الطاهرة والأرواح السامية، وفي الواقع أن هذا الطلب من إبراهيم عليه السلام يحتوي ضمان الحصول على القلب الطاهر والروح السامية. قوله تعالى: «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (البقرة، ١٢٧).

وآخر دعائه عليه السلام وهو الدعاء السابع: أن يشمل الله بلطفه ورحمته فيما إذا صدر منه ذنب أو خطيئة، وأن يرحم أمه وأباه وجميع المؤمنين في يوم القيامة. قوله تعالى: «رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» (إبراهيم، ٤١).

وبهذا الترتيب فإن دعواته تبدأ بالأمن وتنتهي بالعفو والغفران، ومن الطريف لأنه لم يطلبها لنفسه فقط، بل للآخرين كذلك، لأن عباد الرحمن ليسوا أنانيين! (مكارم الشيرازي، د.ت، ج ٧، ص ٥٢٧).

و كذلك ذكر القرآن موقف سياسة النبي إبراهيم عليه السلام أمام عبدة الأوثان و الأصنام التي كانوا يصنعونها و ينحتونها بأيديهم، و الذي لم يبلغ التفكير بإيمان الأجيال. و قد نستوحي من ذلك أن يعيش العاملون بالله الحلم الكبير فيما يحملون به لمستقبل أولادهم، و ذلك بالتركيز على أن يكونوا مؤمنين بالله، عاملين في سبيل إيجاد القاعدة الصلبة للمجتمع المسلم و الأمة المسلمة، فتتحول التربية، في هذا الجو، إلى التخطيط العملي، الأمر الذي يجعل ارتباط الإنسان بأولاده ارتباطاً رسالياً يتحرك في نطاق الحركة الرسالية، لا في موقع العاطفة الذاتية التي تحلم و تفكر لهم بالنجاح المادي في الدنيا بعيداً عن النجاح الروحي في الدنيا و الآخرة. و هذا ما نلمح مظاهره و خطواته في سلوك بعض الدعاة إلى الله الذين يفصلون بين أولادهم و بين الآخرين، فيعملون على أن يضمّنوا لأنثائهم المزيد من الأمن و البعد عن الأخطار التي يفرضها العمل على السائرين في الطريق، و لكنهم لا يعيشون هذا الاهتمام بالآخرين من الناس و أولادهم، فيدفعونهم إلى اقتحام الخطر في سبيل الله و يحشدون في سبيل ذلك كل ما يملكونه من أساليب الإثارة و الانفعال. إنها ازدواجية في الفكر و العاطفة و العمل، التي تجعل للعاملين شخصيتين مختلفتين تتحرك إحداهما في النطاق الذاتي بعيداً عن الرسالة، و تنطلق الأخرى في نطاق الآخرين لتشير كل الأجواء من خلال شعارات الرسالة، خلافاً لما توحىه الآية من وحدة الشخصية التي يحلم بها إبراهيم و إسماعيل لأولادهم بما يحملان به للذات و لأولاد الآخرين، لأن المسؤولية تتحرك في داخلهم من موقع واحد نحو هدف واحد (فضل الله، ١٤١٩ هـ ج ٣، ص ٣٦).

قصة النبي يوسف عليه السلام: دروس السياسة الشخصية

و قصة نبي الله يوسف و هو في سن الشباب، واجه فتنة النساء بقوة إيمان و صلابه، مفضلاً السجن على المعصية، قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ» (يوسف، ٣٣).

فإن سياسة النبي يوسف عليه السلام و دفاعه عن عقائده و إيمانه و قوة سيطرته على الشهوات و هو في سن الشباب جداً جداً عظيمة، فاختار تكبيل الجسد لحرية الروح، و هذا درس في السياسة الشخصية التي تحمي العقيدة و الأخلاق. و تستحق أن نتفكر بها و نتأمل لها الفواقع و الوقوع بهذه المواقف يحتاج إلى صلابه و قوة إيمان، و هذا تعلمنا من نبينا يوسف الشاب الجميل الفاتن بالجمال و ابتلي و فتن بهذه النعمة من قبل نساء فرعون.

و قوله هذا ليس بدعاء على نفسه بالسجن و أن يصرف الله عنه ما يدعونه إليه بالقائه في السجن، و إنما هو بيان حال لربه و أنه عن تربية إلهية يرجع عذاب السجن في جنب الله على لذة المعصية و البعد منه، فهذا الكلام منه نظير ما قاله لامرأة العزيز حين خلت به و راودته عن نفسه: «مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ

مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ»، ففي الكلامين معاً تمنع وتعزّز بالله، وإنما الفرق أنه يخاطب بأحدهما امرأة العزيز وبالأخر ربه القوي العزيز وليس شيء من الكلامين دعاء البتة.

وفي قوله: «رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ» إلخ، نوع توطئة لقوله «وَأِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ» إلخ، هو دعاء في صورة بيان الحال. فمعنى الآية: رب إنه لو خُيِّرْتُ بين السجن وبين ما يدعونني إليه لا اخترت السجن على غيره وأسألك أن تصرف عني كيدهن فإنك لا إن تصرف عني كيدهن أنتزع وأمل إليهن وأكن من الجاهلين فإني إنما أتوقى شرهن بعلمك الذي علمتني به وتصرف به عني كيدهن فإن أمسكت عن إفاضته علي صرت جاهلاً وقعت في مهلكة الصبوة والهوى (الطباطبائي، ١٤٠١ هـ ج ١١، ص ١٥٢).

فالذي نستلهمه من الآيات المباركة أن السياسة لها أهمية في حياتنا اليومية، فالسياسة ليست عمل مرتبط بالرئاسة والحكم والحاكمة والقتال بل الأمر غير الذي نشاهده ونعيشه في زماننا الحالي بأن السياسة هي فعل وأمر مرتبط فقط بالحكومات والقتال وتثبيت كرسي الرئاسة والحاكمة، بل السياسة تستخدم في جميع أمور البشرية وهي نافعة في تدبير وتيسير الأمور اليومية لتقييم الحياة البشرية. فالشاب الواعي يستخدم الفعل السياسي في حياته لكي يتنمي ويتكامل في جميع أبعاد حياته الاجتماعية والاقتصادية والمالية والثقافية وحتى الدينية.

وهنا نلفت النظر إلى أمر مهم ويجب عدم التسرع في الحكم على الآخرين والانتباه إلى أنفسنا وما ينطقه لساننا، وهو حين يقع الإنسان أسيراً بقبضة الشدائد والحوادث وتجره إلى شفير الهاوية، فعليه أن يتوكل على الله و يلتجئ إليه ويستمد منه فقط، فإذا لم يحظ بلطفه وعونه فإنه لا يستطيع أن يقوم بأي عمل، وهذا درس علمنا إياه يوسف العظيم فهو القائل: «وَأِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ» فأنت يا رب الحافظ لي، ولا أعتمد على قواي وقدرتي وتقواي.

وهذه الحالة «التعلق المطلق بلطف الله» بالإضافة إلى أنها تمنح عبادة الله قدرة واستقامة غير محدودة، فهي تشملهم بألطافه الخفية. تلك الألفاظ التي لا يمكن وصفها والتصديق بها إلا عند رؤيتها ومشاهدتها. فهؤلاء هم الذين يسكنون في ظل الله ورحمته في الدنيا والآخرة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «دخل يوسف عليه السلام السجن وهو ابن اثني عشرة سنة ومكث فيه ثمانين سنة وبقي بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة وثمانين سنين» (تفسير أهل البيت، د.ت، ج ٧، ص ٦٢؛ بحار الأنوار، المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج ١٢، ص ٢٩٧).

والى هنا توضح لنا كم كان للنبي يوسف عليه السلام مع صغر سنه سياسة رشيدة فقد حصنته من الإثم والذنب الذي قد كان بسبب الكيد الذي اعتدتهن له نساء القصر وزوجة العزيز.

أصحاب الكهف: نموذج السياسة الجماعية

وكذلك نشير إلى نبي آخر وهو نبي إبراهيم عليه السلام ونبين سياسته و نأخذ منها عبرة و درساً لحياتنا و لشبابنا لأن النبي إبراهيم عليه السلام كان في عمر الشباب و حسب ما ذكر في الروايات و المنابع الإسلامية أن النبي إبراهيم عليه السلام عندما قام بتحطيم الأصنام كان يبلغ من العمر ستة عشر سنة و يجب تبين نقطة مهمة أنه لم يذكر في القرآن عدد السنين لعمر النبي، و اعتمدت في ذكر عدد السنوات على حسب ما ذكر في الروايات التفسيرية، ولكن عندنا نصاً قرآنياً جاء يذكر حادثة تحطيم الأصنام في سورة الأنبياء من الآية ٥١ إلى الآية ٦٨. و ذكرت لنا الآيات أن النبي إبراهيم استخدم أسلوب السياسة في إثبات الدعوة الإلهية و إثبات أصل من الأصول العقائدية و هو عند تحطيمه للأصنام اتخذ أسلوب السياسة بقوله: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ» (الأنبياء، ٦٣).

و هنا النبي إبراهيم استخدم علم المنطق ليدعم فعله السياسي في تحطيم الأصنام في توعية الأمة من الغفلة و الجهل، و لعل في تحريك عقولهم ليتساءلوا من أنفسهم كيف يتمكن الصنم من فعل هكذا أمر الذي لا يملك القدرة على فعل حركة بسيطة فكيف يكون لها. و في الواقع فإن كل مراد إبراهيم من تحطيم الأصنام تحطيم فكر الوثنية و روح الصنمية، لا تحطيم الأصنام ذاتها، إذ لا جدوى من تحطيمها إذا صنع الوثنيون العنودون أصناماً أكبر منها و جعلوها مكانها. إلى الآن استطاع إبراهيم أن يجتاز بنجاح مرحلة حساسة جداً من طريق تبليغه الرسالة، و هي إيقاظ الضمائر عن طريق إيجاد موجة نفسية هائجة. و نرى أن السياسة لا تكون فردية كما ذكرنا لاحقاً حول النبي يوسف عليه السلام و النبي إبراهيم عليه السلام، وإنما يبين لنا القرآن الكريم قصة مجموعة من الفتية و هم في عمر الشباب فتية الكهف، و حافظوا على إيمانهم في مواجهة مجتمع منحرف (الطباطبائي، ١٤٠١ هـ ج ١٣، ص ٢٤٥).

وهم: مجموعة من الفتية الشباب الذين رفضوا الظلم و الكفر، فتوكلوا على الله و انفصلوا عن مجتمعهم الفاسد، فألقاهم الله في نوم طويل ثم أحياهم ليكونوا آية للناس. هذا يعكس سياسة جماعية مبنية على التوحيد و الثبات. قوله تعالى: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا». الحسبان هو الظن، و الكهف هو المغارة في الجبل إلا أنه أوسع منها فإذا صغر سمي غاراً، و الرقيم من الرقم و هو الكتابة و الخط فهو في الأصل فعيل بمعنى المفعول كالجريح (الطباطبائي، ١٤٠١ هـ ج ١٣، ص ٢٤٥).

إنهم مجموعة من الفتية الأذكياء المؤمنين، الذين كانوا يعيشون في ظل حياة مترفة بالزينة و أنواع النعم، إلا أنهم انسلكوا من كل ذلك لأجل حفظ عقيدتهم و للصراع ضد الطاغوت؛ طاغوت زمانهم، و ذهبوا

إلى غار خال من جميع أشكال الزينة والنعم، وقد أثبتوا بهذا المسلك أمر استقامتهم في سبيل الإيمان و الثبات عليه (مكارم الشيرازي، د.ت، ج ٩، ص ٢٠٣).

ويؤكد القرآن أن السياسة الحقّة تقتضي مواجهة الظالمين الذين ينكثون العهود ولا يراعون الأمانة، كما في قوله تعالى: «فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ» (التوبة، ١٢). فالشباب المؤمن يبدأ بثبوت إيمانه الخالص، ثم يساهم في بناء مجتمع قوي متحد، خالٍ من الشوائب، قادر على مواجهة الاستكبار.

ثانياً: تأثير الشباب المؤمن في التكامل السياسي من منظور نهج البلاغة

مرحلة الشباب حساسة جداً، ففيها تتبلور الشخصية التي تستقر في المستقبل على نمط معين، و تتبلور الأفكار والقناعات والاتجاهات الفكرية والدينية والسياسية...، ولنا حاجة ماسة للانتباه لما يتأصل أثناءها في حياة الشباب، فهي آخر مراحل التربية الفعالة التي يصعب بعدها إحداث تغيير جذري وأساسي في الشخصية فيما لو أردنا تغييرها.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام من أشجع الشجعان في ساحة الحرب، فلم يول العدو ظهره أبداً وليس هذا بالقليل، فقصته في حرب الخندق معلومة حيث تقدم عندما تخاذل الجميع، كذلك قصته في فتح خيبر، وفي واقعة بدر وأحد وحنين، و كل واحدة من هذه الوقائع لو نظرتم إليها تجدون أمير المؤمنين عليه السلام وله من العمر في بعضها ٢٤ سنة وفي بعضها ٢٥ سنة، وفي بعض المواضع ٣٠ سنة قد نصر الإسلام وهو شاب لم يتجاوز العقد الثالث بشجاعته في ميادين القتال وخلق تلك الإعاجيب، وهذا يختص بالحرب. (الإمام علي، د.ت، ص ٤٧).

ولنتوقف قليلاً عند قول أمير المؤمنين علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرَتْكَ بِالْأَدْبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ، وَ يَشْغَلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَ تَجَرِبَتُهُ فَتَكُونَ قَدْ كُنَيْتَ مُؤَوَّنَةَ الطَّلَبِ وَ عَوْفِيَتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجَرِبَةِ فَاتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ وَ اسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ» (نهج البلاغة، رسالة ٣١، ص ٣٩٣).

والذي يهمنا هنا نقطتان:

١. العمل من المربي قبل أن يدركه الموت، (أي الإداء لواجبه ومسؤوليته في أوانها).
٢. الإسراع بتربية الصبي قبل أن يقسو قلبه و تنكلس مشاعره، و يتخشب عوده، و يشتغل عقله بغير ما ينبغي.

فالنظر إلى التشبيه (قلب الصبي بالأرض الخالية) التي يغرس فيها ما يشاء، ولا ينبري لها غيرك ممن قد لا يسرك زرعها، أو ممن يرسل على زرعك ناراً فيحرقه (مختصر من كتيب منتدى الشباب، جهده من الشباب، ٢٠٠٠م، ص ٥١).

فالنهز الفرصة و نؤمن على شبابنا، أبائنا و بناتنا ممن يسعى في التسلل و غرس النفاق في قلوبهم و إبعادهم عن طريق التكامل الفطري الذي خلقت البشرية من أجله.

إن في روح الإنسان بورتين أو مركزين، وكل منهما منشأ لنوع معين من الفاعليات و التجليات الروحية، و إحدى هاتين البورتين تسمى (العقل) أو (الحكمة)، و تسمى الأخرى (القلب). إن الفكر و التفكير و التبصر، و المنطق و الاستدلال، و العلم و الفلسفة، هي جميعاً من تجليات العقل. و هناك تجليات روحية أو نفسية، كالرغبة و الحب و الثمنى و الانفعال، و كل هذه تُعزى إلى القلب.

من البعد القلبي تنبعث الحرارة و الحركة، و من البعد العقلي تبرز الهداية و الاستنارة. و إن من يملك قلباً كنيئاً لا رغبة فيه و لا أمل و لا أمنية، لكائن بارد ساكن جامد، و لا تبدو منه أي فاعلية، و هو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة. و أما الذي يفتقر إلى قوة العقل و الفهم و التدبر، فهو أشبه ما يكون بالسيارة التي تسير في الليل دون مصابيح، و دون أي وسيلة للاهتمام إلى معالم الطريق.

في بعض الأحيان يحصل انسجام و توافق بين هاتين البورتين، فقد يُعجب القلب بشيء فيؤيده العقل في ذلك، ففي أمثال هذه الحالات لا يواجه الإنسان شيئاً من المشكلات، ولكن كثيراً ما لا يحصل هذا الاتفاق، فقد يحب القلب شيئاً لا يرد العقل، بتبصره و حساباته، أنه يستحق الحب، أو قد يؤكد العقل جودة شيء ما و صلاحه، ولكن يصعب على القلب قبوله و الاقتناع به. هنا يحدث الصراع و النزاع بين العقل و القلب، و هنا يبرز اختلاف بعض الناس عن بعض، فمنهم من يخضع لحكم العقل، و منهم من يخضع لحكم القلب.

و لنضرب لذلك مثلاً بسيطاً: لا شك في أن كل شخص يحب أبناءه بحكم الغريزة؛ و لذلك فهو يسعد لتوفير أسباب الراحة و الرفاهية لهم، بحيث إنه قد يستعذب العناء و التعب في سبيل ذلك. و تأتي قضية تربيتهم لتزيد من شقاء الأب؛ و ذلك لأن التربية مهما تكن ملائمة و مهيأة، فإنها لا تخلو من المنغصات، في بادئ الأمر على الأقل، و قد يضطر الوالدان إلى تحمل عذاب فراق أبنائهما لغرض الدراسة؛ إن هذا الفراق لشديد على قلبي الوالدين. فلو أراد الإنسان أن يسير على هدى ما يريده قلبه، فعليه أن يتخلد عن تربية ابنه، و هي الطريق الوحيد لضمان مستقبله، و إن ارتضى أوامر العقل، فلا مندوحة له عن تجاهل رغبات قلبه.

وأرفع من هذا هو تربية النفس وتهذيبها، إن تهذيب النفس وتزيينها بالأخلاق الإنسانية من أصعب الأمور وأشقها؛ وذلك لأن العقل والقلب يقفان في هذه الحالة على قطبي نقيض. إن الصراع مع النفس الأمانة بالسوء يتطلب درجة قوية من العقل والإيمان.

رُوي: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله مر يقوم يربعون حجراً، فقال صلى الله عليه وآله: ما هذا؟ قالوا: نعرف بذلك أشدنا وأقوانا، فقال صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بأشدكم وأقواكم، قالوا: بلى، يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: أشدكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرج منه سخطه من قول الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له بحق».

إن الصراع بين العقل والقلب في ميدان تهذيب النفس وتثقيفها دائم وقائم لا يهدأ، إلا إن الهدف من تهذيب النفس هو إيجاد الانسجام بين هذين القطبين المتناحرين، وتشمل أيضاً السيطرة على رغبات القلب؛ فإن الضبط والتنظيم منبعهما العقل، واللامبالاة والتقلب في الأهواء منشؤهما القلب (مطهري، د.ت، اسم كتاب و صفحه).

فكل ما ذكرنا من كلام الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة والأساتذة الكرام هو نريد أن نتوصل إلى أن كيف يكون للشباب وعي ومعرفة سياسية، فالشباب الذي نمي وتكامل وترعرع في أحضان الوالدين والكبار بهكذا تربية وعي سوف يكون شاباً سياسياً وصاحب وعي ديني كما شاهدنا وقرأنا في تاريخنا من سيرة أئمتنا عليهم السلام وبنائهم وأصحابهم وسيرة أنبيائنا ورسلائنا وحتى علمائنا العظام وتصديهم السياسي القوي لما احتاجته الساحة الزمانية من قوة وصلابة في الرأي.

إن ما قدمت لنا واقعة كربلاء من شباب ذوي قيم وأخلاق ودين وصلابة وسياسة لا مثيل لهم. حصل عليها الشباب لما تربوا عليه من الكبار والوالدين والأئمة عليهم السلام.

فلنذكر القليل القليل من المواقف للشباب في واقعة كربلاء وكان أعمارهم ما يتراوح من ١٥، ١٩، ٢٧ وهو من أجمل وأعز عمر الشباب. وكان عدد الشباب ١٩ شاباً وهم: أبرزهم علي الأكبر استشهد وعمره ٢٥ سنة، ومن خصائصه وخصاله تأكيده على الحق والدفاع عنه وتطوعه للشهادة قبل سائر بني هاشم، ومن عباراته المشهورة لأبيه الحسين عليه السلام: «أولسنا على الحق؟» قال الإمام الحسين عليه السلام: «إذاً لا نبالي وقعنا على الموت أم وقع الموت علينا» فهنا تعرف على التكليف أولاً «أولسنا على الحق» فإن يقننته فقم بتأديته ولا تبالي بالنتيجة «إذاً لا نبالي...» فيتوجب على كل شاب الاقتداء بمثل هذه الشخصية الخالية من واقعة الطف (بحار الأنوار، المجلسي، ٥١٤٠٣، ج ٩٨، ص ٢٧١).

المهم والأهم في زماننا الحاضر هو أن نعرف في أي مسير قد ثبتنا أقدامنا فإن كان في طريق الحق فثبتت الأقدام ونغرس في النفوس الصمود و نتقدم نحو الدفاع و الجهاد لنصرة الحق كما هو موقف علي الأكبر عليه السلام و سؤاله من أبيه الحسين عليه السلام.

و من الشباب الذين يستحق ذكرهم لمعرفة مسيرهم و حركتهم و إيمانهم و قوة ثباتهم هم: عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، و أمه رقية بنت الإمام علي عليه السلام و كان عمره حين شهادته ٢٦ سنة، و هو أول شهيد من أهل البيت عليهم السلام و من بعد علي الأكبر عليه السلام و كان قاتله عمر بن صعصعة و قيل أسد بن مالك (بحار الأنوار، المجلسى، ١٤٠٣هـ، ج ٩٨، ص ٢٧١).

و لنا في واقعة الطف ثلاث شبان أخوة هم أبناء أمير المؤمنين علي عليه السلام من زوجته أم البنين عليها السلام و علي رأسهم أخوهم العباس عليه السلام و هم عبدالله بن علي و عمره ٢٥ عاماً، عثمان بن علي و عمره ٢١ عاماً، و جعفر بن علي و عمره ١٩ عاماً. قدموا أنفسهم للقتال في سبيل نصرة الحق و إمام الحق و واجهوا ضد الظلم و الطغيان و الانحراف متحملين مسؤوليتهم تجاه دينهم و أمتهم مستجيبين لنداء إمامهم رافضين للذل. و جعفر بن عقيل و عمره حين استشهد ٢٣ عاماً، و محمد بن أبي سعيد بن عقيل و عمره ٢٥ عاماً، و محمد الأصغر بن أمير المؤمنين عليه السلام و عمره ٢٢ عام.

و قال عنهم العدو من معسكر ابن سعد قائلاً: «ثارت علينا عصابة، أيديهم في مقابض سيوفها كالأسود الضاربة، تحطم الفرسان يميناً و شمالاً، و تلقي أنفسهم على الموت، لا تقبل الأمان، و لا ترغب في المال، و لا يحول حائل بينهما و بين الورود على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففت عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها».

و كان قولهم للإمام الحسين عليه السلام ليلة العاشر: «نفديك بأنفسنا و أموالنا و أهلنا و نقاتل معك حتى نرد موردك، فقبج الله العيش بعدك» (المجيب بما هو دور الشباب في واقعة الطف).

فالواقع هو جلب انتباه لنا و موعظة للشباب في جميع الأزمان و التيقن و الثبات يجعل من الشباب أن يكون مناضلاً و بأسلاً في مواجهة الأعداء و لا يتزلزل بأي فتن و وساوس و أفكار مدسوسة. إن فئة الشباب كانوا العنصر الغالب في تركيبة الجيش الحسيني و أنصار الحسين عليه السلام و أصحابه، لأن الشباب هم العنصر الأكثر تأثيراً و حماساً و إنه فاعلاً و في مرحلة حيوية و قوة و قدرة القتال بدون أي تزلزل و شهدت أرض كربلاء و واقعة الطف للشباب الحسيني و شجاعته و جهاده و قائدهم شاباً بل سيد شباب أهل الجنة (الحسين بن علي عليه السلام).

فيا أيها الشاب المؤمن كن مرفوع الرأس بهذا المقام الإلهي و العزة و الكرامة و اغتنم شبابك واسع و تقدم و كن أصلب من الجبال مقابل العدو و مقابل هوى النفس. و استقم الدين بصلافة و عقيدة و جهاد و

قوة سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام، فهذا هو نهجنا وهذا هو شبابنا الذين كانوا مستقيمين على خطاه فيشهد لنا التاريخ وكل الأديان على مدى العصور.

و الواقعة تعني التجربة العملية والحدث السياسي الذي يمر به المجتمع، ويتعلم منه الشاب المؤمن كيف يواجه التحديات السياسية والاجتماعية. يرى الإمام علي عليه السلام أن الشاب المؤمن عليه أن يستفيد من الوقائع كدروس عملية تعزز وعيه السياسي، ويقول في رسالة له: «خذ الحكمة من الوقائع، ولا تكن من الجاهلين الذين لا يفقهون ما وراء الأحداث» (نهج البلاغة، ابى الحديد، ١٤٠٤هـ، رسالة ٥٣، ص ٥٩٠).

إن استيعاب الوقائع السياسية، والاستفادة منها، يساعد الشاب المؤمن على توجيه المجتمع نحو التكامل السياسي، عبر إدراك المكان الخطرة ومعالجتها بالحكمة والرؤية النافذة. والحكمة تزود الشاب المؤمن برؤية سياسية واعية ومنهجاً للتصرف في المواقف المختلفة، وهو عنصر أساسي لتحقيق التكامل السياسي.

و الواقعة تقدم دروساً عملية وتجارب سياسية حقيقية يكتسب منها الشاب المؤمن مهارات التعامل مع الأزمات والفرص. وبذلك يصبح الشاب المؤمن هو الركيزة التي تركز عليها الدولة الإسلامية في بناء مجتمع سياسي متكامل ومتزن (نهج البلاغة، تحقيق القطان، ١٩٩٣، خطبة ١٢٨، ج ٢، ص ٤٢٠).

العدالة في بعدها الفردي عند الإمام علي عليه السلام

كان علي عليه السلام يجسد العدالة الإنسانية ببعديها الفردي والاجتماعي؛ حيث تجلت عدالة الإنسان في حدود حياته الفردية، و عدالته في مضممار الحكم والسلطة تلك التي نطلق عليها العدالة الاجتماعية في حياة أمير المؤمنين عليه السلام، و علينا أن نعرف ذلك بنية تطبيقه عملياً، لا سيما بالنسبة لأولئك الذين يتحملون المسؤوليات في المجتمع، ويتبنون موقفاً في الحكومة، فلقد تمثلت العدالة الفردية بأعلى درجاتها في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، و ذلك هو ما نعبّر عنه بالتقوى، تلك التقوى التي كان عليه السلام يجسدها في عمله السياسي والعسكري وفي توزيعه لبيت المال، وفي قضائه و جميع شؤونه؛ فالعدالة الفردية والذاتية للمرء تمثل في واقع الأمر سنداً للعدالة الاجتماعية وصاحبة التأثير في العدالة على صعيد الحياة الاجتماعية.

ليس بمقدور من يفتقد للتقوى في ذاته وفي عمله، و هو رهين أهوائه النفسية وأسير للشيطان، الادعاء بقدرته على تطبيق العدالة في المجتمع، فذلك محال؛ فمن أراد أن يكون مصدر إشعاع للعدالة في حياة الأمة، فلا بد له والحال هذه أن يلتزم التقوى على صعيد نفسه أولاً؛ تلك التقوى التي أشرت لها في مستهل الخطبة، والتي تعني المراقبة للحيلولة دون الوقوع في الخطأ.

و هذا لا يعني أن الإنسان لن يخطئ، كلا، فلا مفر لغير المعصوم عليه السلام من ارتكاب الخطأ، و ما هذه المراقبة إلا صراط مستقيم، و سبيل للنجاة تنتشل الإنسان من الغرق و تمنحه القوة. و الذي لا يمارس الرقابة على نفسه و يعانى من فقدان العدالة و التقوى على صعيد القول و الفعل و حياته الشخصية لا قدرة له على أن يكون مصدراً للعدالة الاجتماعية في أوساط المجتمع.

لقد أعطى أمير المؤمنين عليه السلام درسه الخالد لكل الذين يمارسون دوراً على الصعيد السياسي لمجتمعاتهم، حيث يقول عليه السلام: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ» (نهج البلاغة، ابى الحديد ١٤٠٤هـ، حكمة ٦٨)، إذ بإمكان اللسان النطق بكثير من الأشياء، أما ما يأخذ بيد الإنسانية لسلك صراط الله فهو سيرة و أفعال من يقع عليه الاختيار ليكون إماماً للناس، سواء على مستوى المجتمع أم أدنى مستوى من ذلك. ثم يقول عليه السلام: «وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَ مُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَ مُؤَدِّبِهِمْ» (المنبع السابق).

هذا هو منطق أمير المؤمنين عليه السلام و درسه؛ فالحكومة ليست ممارسة للسلطة و حسب، بل هي نفوذ في القلوب و استقرار في العقول، فمن كان في هذا الموقع أو وضع نفسه فيه عليه بادئ ذي بدء أن ينهمك دوماً بتهديب نفسه و إرشادها و محاسبتها و وعظها.

من الموصفات التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام لمن يتمتع بالأهلية لإمارة الناس، أو تولي مسؤولية قطاع من شؤونهم و هذا ما يبتدئ من زعامة البلد و يسري إلى ما هو أدنى من الدوائر و المؤسسات، كما يصدق على القاضي أو المتصدي لدائرة من دوائر هذا الجهاز الواسع و كان عليه السلام يوصي ولاته و قادته به، نجده في قوله عليه السلام: «فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَ يَعْمَلُ بِهِ» (نهج البلاغة، خطبة ٨٦). من هنا يأتي التلازم بين السلطة و الأخلاق في الإسلام، فالسلطة إنما هي ظالمة غاصبة إذا ما خلت من الأخلاق. و في عصرنا الراهن، حيث تتزاحم الفتن و الأفكار المغشوشة و المشاريع السياسية المشبوهة، يصبح دور الشاب المؤمن أكثر حساسية و حيوية من أي وقت مضى. فهو:

- حارس العقيدة في مواجهة التشويه الفكري و التطبيع مع الباطل.
- صوت الحق في الساحات الإعلامية و الرقمية و الواقعية.
- جسر التواصل بين الأجيال، ينقل التراث النقي و يجسده في لغة العصر.
- عامل التغيير الذي لا يقبل بالظلم و لا يسكت عن الفساد، و في الوقت ذاته يعرف كيف يبني و لا يهدم فقط.

○ النواة الصلبة لأي مشروع إصلاحى إسلامى حقيقى، سواء على مستوى المجتمع المحلى أو الأمة الكبرى.

و يا أيها الشاب المؤمن، إن كربلاء لم تكن حدثاً تاريخياً انتهى، بل هي مدرسة مفتوحة في كل زمان و مكان. و إن نهج البلاغة ليس كتاباً للقراءة فقط، بل دستور حياة و سياسة و عبادة و جهاد. فكن كعلي الأكبر: تيقن أولاً أنك على الحق، ثم لا تبال بعد ذلك بوقوع الموت عليك أو وقوعك عليه. و كن كالعباس: سقي الماء للحق و العدل حتى لو كلفك ذلك ذراعيك و حياتك في إطاعة ولي أمرك و كن كالشباب الحسيني: تقدم لا تتردد، و أقدم لا تخف، و استشهد إن لزم الأمر، لكن لا تخن و لا تباع و لا تساوم على الدين.

فإذا فعلت ذلك، لن تكون أنت فقط قد حققت تكاملك الشخصي، بل ستكون قد ساهمت في تكامل أمتك سياسياً و روحياً و أخلاقياً، و ستكون حلقة في سلسلة الخير التي بدأها رسول الله صلى الله عليه و آله، و أكملها أمير المؤمنين، و ختمها بدماء الحسين و أصحابه و شبابه رضوان الله عليهم أجمعين.

النتيجة

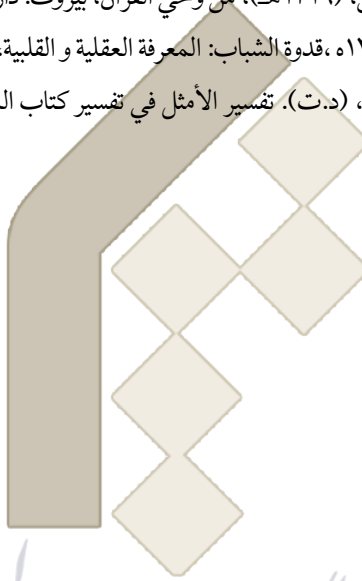
رحم الله من يعتبر من القرآن الكريم و يتعظ من كلام الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة و لناخذ من الأذكار درساً نجعله وظيفة في حياتنا اليومية لنحصل على الأمان و الاطمئنان الدائم. قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «نِعْمَتَانِ مَجْهُولَتَانِ الْأَمْنُ وَ الْعَاقِبَةُ» (روضة الواعظين، الفتال النيسابورى، ١٤٠٠هـ، ج ٢، ص ٤٧٢).

و يذكر لنا التاريخ في واقعة كربلاء من دور فعال للشباب في دور السياسة. و استقام الدين بجهدهم و دمائهم الطاهرة. إن الاستثمار في الشباب هو استثمار في تقدم الأمة و رقيها فهم قادة الغد الذين سيحملون راية التغيير و الازدهار مما يضع أسساً قوية لمجتمع متماسك و متطور يواكب متطلبات العصر و يحافظ على قيمه الأصيلة.

في الختام، يتضح أن الشاب المؤمن هو اللبنة الأساسية للتكامل السياسي الإسلامى، و أن القرآن و نهج البلاغة يقدمان الإطار الشامل لتربيته و تفعيله. ندعو إلى برامج تربوية تعزز هذا الدور، ليصبح الشباب قادة التغيير في عصرنا.

المراجع

- الإمام علي بن أبي طالب (ع)، نهج البلاغة، تحقيق صبحي صالح.
الطباطبائي، محمد حسين، (١٤٠١ هـ)، الميزان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي.
المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
تفسير أهل البيت (ع)، (د.ت)، تفسير أهل البيت، قم: مؤسسة الرسالة.
روضة الواعظين، (د. الفتال النيسابورى، ١٤٠٠هـ، ت)، ج ٢.
فضل الله، محمد حسين، (١٤١٩ هـ)، من وحي القرآن، بيروت: دار الملاك.
مطهرى، مرتضى، ١٤٠٠ هـ، قدوة الشباب: المعرفة العقلية و القلبية، ج ٣، قم: صدرا.
مكارم الشيرازي، ناصر، (د.ت). تفسير الأمل في تفسير كتاب الله المنزل. قم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب.



دانشگاه مجازی المصطفی